خطبة صلاة الجمعة 2025/7/11 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

# (كوني برداً وسلاماً)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27]

أخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي الْيَسَرِ السُّلَمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَرَمِ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا**».

عنوان خطبة اليوم: **(يا نار كوني برداً وسلاماً)**

**أيها الإخوة:**

بينما أشجارٌ تُسبِّح اللهَ وأطيارٌ تغرّد بحمده وعجماواتٌ تعيش بفضله، وأناسٌ زرعوا العِرق الأخضر ينتظرون نتاجه، تمتدّ يد أثيمة من البشر –وما هي من البشر– لتوقد النار في الأرض واللهب في السماء والحرقة في الكبد، فتأتي على خمسةَ عشرَ ألف هكتار من البساط الأخضر في ساحل الشام –وهو ما يقارب مساحة مدينة دمشق لمرة ونصف– فيها الغابات والمناطق الزراعية والمحميات الطبيعية.

يا نار كوني برداً وسلاماً على ساحل الشام.

أتت النار على شجر الصنوبر دائم الخضرة، وعلى شجر الأرز اللبناني ضخم المنظر شديد التحمل لصعوبة المناخ، وعلى شجر الأرز السيليكي المقاوم للأمراض، وعلى أشجار البلوط المقاومة كمقاومة شعب فلسطين، وعلى شجر السنديان المحسِّن لخصوبة التربة وثباتها.

وكل هذه الأشجار طويلة العمر يعمِّر بعضها مئة عام وبعضها ألفاً، لتجعل من هذه الأشجار رماداً.

وأتت إلى بساتين الزيتون والحمضيات التي قُدِّرت الخسائر فيها بحوالي مليون شجرة زيتون لتجعل من ذلك حسرة في قلوب الناس، وأتت على الحيوانات التي تعيش في تلك الأماكن.

يا نار كوني برداً وسلاماً على ذلك البساط الأخضر.

إنّ المدة المقدَّرة لإعادة المساحات الخضراء تحتاج إلى ما يقارب عشراً إلى عشرين عاماً حتى تستعيد نموَّها، وإلى ثلاثين إلى خمسين عاماً للوصول إلى مرحلة النضج الكامل.

وإنّ للحريق أثراً على المناخ؛ فتقلّ معدلات التبخّر بسبب زوال الغطاء النباتي، وتنخفض احتمالية تكوّن السحب والأمطار مستقبلًا، وتزيد معدلات تآكل التربة، الأمر الذي يؤدي إلى السيول وانجراف التربة بعد حدوث الأمطار.

وله أثر على المجتمع فقد نزحت آلاف العائلات من القرى المحيطة، وفُقدت البنية التحتية الحيوية مثل خطوط الكهرباء والمياه من أمكنة الحريق.

يا نار كوني برداً وسلاماً على ساحل الشام.

**أيها الإخوة:**

صحيح أنّ الألمَ كبير والخسارةَ فادحة، ولكنّ عونَ الله أكبرُ، وعطاءَه أوسعُ، وأملَنا بعِوَضه أعظمُ.

فقد تنادى لردع الحريق رجالٌ صُلَحاء ومؤمنون أتقياء أرادوا حماية الشجر والوحش والبشر، فنزل للميدان أكثر من مئة وعشرين فريقَ دفاع مدني، قادت مئات المركبات والأجهزة الهندسية الثقيلة، وشارك شباب ورجال من كافة المحافظات السورية بمعداتهم الخاصة في إطفاء الحريق.

وشاركت فرق جوية من تركيا، والأردن، ولبنان في دعم الإطفاء.

وقاد الجميعَ في الميدان وزيرُ الطوارئ السيد **رائد الصالح** بذراعه البادي عليه القوة، ووجهه الظاهر فيه التعب، وقلبه المشرق منه الأمل.

ويتجهّز الآن رجال آخرون من رجال الحكومة والمجتمع لإعادة زراعة ما احترق وترميم ما تلف بعد توقف الحريق بإذن الله.

فلهم جميعاً منّا كلُّ الشكر وجميلُ الذكر وكثيرُ الدعاء.

لـمّتِ الآلام منّـــا شـــــملنا ونمتْ ما بيننـــا من نســـــبِ

بوركَ الخطبُ، فكم لفَّ على سهمهِ أشتاتَ شعبٍ مغضبِ

**أيها الإخوة:**

في سورة الأنبياء قال الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)﴾ [الأنبياء: 68-71]

قال الإمام **القرطبي** في تفسيره: (﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما انقطعوا بالحُجّة أخذتهم عِزّةٌ بإثم وانصرفوا إلى طريق الغَشْـــم والغلبة وقالوا حرّقوه، قاله ملكهم نمرود – وكأنّي بالحال هو الحال فإن من انقطعت بهم الحيلة في الإســاءة لهذا الفتح المبين يقولون حرّقوا أرزاق الناس وبلادهم، وانصـروا بطشـكم وظلمكم، يفسـدون في الأرض أولئك هم الخاسرون–.

﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ قال ابن إسحاق: وجمعوا الحطب شهراً ثم أوقدوها، واشتعلت واشتدت، حتى إن كان الطائر ليمرّ بجنباتها فيحترق من شدة وهجها، ثم قيّدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولاً. روى أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنّ إبراهيم حين قيّدوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت، سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك**، قال: **ثم رموا به في المنجنيق، فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾**».

قال أبو العالية: ولو لم يقل "وَسَلَامًا" لكان بردها أشدَّ عليه من حرّها، ولو لم يقل "عَلَى إِبْرَاهِيمَ" لكان بردها باقياً على الأبد.

وقال علي وابن عباس: لو لم يُتبع بردَها سلاماً لمات إبراهيم من بردها.

وقال كعب وقتادة: لم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه، فأقام في النار سـبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار، ثم جاؤوا فإذا هو قائم يصلّي. وقال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم عليه السلام: "ما كنتُ أياماً قط أنعمَ مني في الأيام التي كنتُ فيها في النار".

قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ أي أراد نمرود وأصـحابه أن يمكروا به ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي في أعمالهم، ورددنا مكرهم عليهم بتسـليطنا أضـعفَ خلقنا. قال ابن عباس: سـلّط الله عليهم أضـعفَ خلقه

البعوض، وقعت واحدة في منخر نمرود فلم تزل تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان أكرمَ الناس عليه الذي يضرب رأسَه بمرزبة من حديد.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ يريد نجينا إبراهيم ولوطاً إلى أرض الشام وكانا بالعراق.

وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء).

ونحن نسأل الله تعالى أن يردّ كيد من كاد الشام في نحره، وأن يجعل هذه النار برداً وسلاماً على ساحلنا.

**أيها الإخوة:**

في كتب السنة الشريفة أحاديث ترشد المسلم للتنبه عند التعامل مع النار فقد عنوَن البخاري في صحيحه باباً فقال: (**بَاب: لَا تُتْرَكُ النَّارُ فِي الْبَيْتِ عِنْدَ النوم**)، أخرج فيه حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَتْرُكُوا النار في بيوتكم حين تنامون**».

وحديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**».

وحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَمِّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الفتيلة فأحرقت أهل البيت**».

وترجم ابن ماجه في سننه (**بَابُ إِطْفَاءِ النَّارِ عِنْدَ الْمَبِيتِ**)، وترجم أبو داود (**باب إطفاء النار بالليل**)، وترجم الترمذي (**بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْمِيرِ الإِنَاءِ، وَإِطْفَاءِ السِّرَاجِ، وَالنَّارِ عِنْدَ المَنَامِ**).

قال **القرطبي** المحدِّث: (جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة، ويحتمل أن تكون للندب، ولا سيّما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر).

وأخرج ابن السني بسند ضعيف عن عبد الله بن عمرو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا؛ فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**».

نسأل الله تعالى أن يعيذنا من النار، وأن يجعل النار برداً وسلاماً على ساحل الشام، وأن يعوّض الفاقدين خيراً، وأن يردّ كيد الكائدين في نحرهم.

والحمد لله رب العالمين